شرح المقدمة الجزرية

لأبي الثناء سراج الدين محمود بن عمر المستكاوي الخانكي

من علماء القرن العاشر

تحقيق

فرغلي سيد عرباوي

أضواء السلف

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٢٤٥٥٧ / ٢٠٠٨م

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

ابن الجزري ، محمد بن محمد بن محمد ، ١٣٥٠ - ١٤٢٩

شرح المقدمة الجزرية / لأبي الثناء سراج الدين محمود بن عمر بن علي المستكاوي الخانكي ، تحقيق فرغلي سيد عرباوي . - الرياض : أضواء السلف ، ٢٠٠٨ .

٣٤٤ ص ؛ ٢٤سم .

١ - القرآن - تجويد

٢ - القرآن - القراءات

أ- المستكاوي ، سراج الدين محمود بن عمر بن علي (شارح)

ب- عرباوي ، فرغلي سيد (محقق)

جـ - العنوان

٢٢٨.٩

دار أضواء السلف

الرياض - الربوة - الدائري الشرقي - مخرج ١٥ ص.ب ١٢١٨٩٢
الرمز ١١٧١١ ت ٢٣٢١٠٤٥ جوال ٠٥٠٥٢٨٠٣٢٨

غير موجود

شرح المقدمة الجزرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إنَّ الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيِّئات أعمالنا ، منْ يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله . **أمَّا بعد** :

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمَّد ﷺ ، وشر الأمور مُحدثاتها ، وكل محدثةٍ بدعةٍ ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النَّار .

المدقق في الروايات التي جاءت عن الأئمة وسلفنا الصالح يجد أنهم لا يفرقون بين القرآن وتجويده ؛ لأنهم يعلمون علم اليقين أن القرآن نزل مرتلًا مجوداً من العزيز الحكيم ، فبه قرءوا القرآن وأقرءوه ومن تلقى عنهم به ألزموه .

فلما ضعفت الهمم وتباعد الناس عن أخذ كتاب ربهم من أفواه الشيوخ الضابطين ظهر دعاة الفصل بين القرآن وتجويده . ونادى فريق بتجريد القرآن من رسمه وضبطه ، بل إن واقع الأمة اليوم منذر بتركه وهجره .

وأمام هذه التحديات والتعديات التي أثارت البلبلة في أذهان أهل العلم بلبلة الناشئة . كان لا بدّ من وقفة يُجْلى فيها الحق وتُبْرأ فيها الذمة ، ويعود فيها أهل القرآن إلى تجويد كتاب ربهم بعزيمة وهمة .

ويجب على كل مسلم أن يعلم أنَّ تجويد كلام الحقّ جلَّ جلاله ، شرف عظيم لا يُنال بالتحلي ولا بالتمني ، بل بالدأب والمثابرة ، وملازمة مشايخ الإقراء المتّصل سندهم بالنبي ﷺ ، الذين حبسوا أنفسهم لخدمة كتاب الله ، فكانوا خير الناس بشهادة نبيهم ﷺ ، حيث قال : " خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ " رواه البخاري وغيره[1] .

---

(١) ينظر : صحيح البخاري (١٥ / ٤٣٩) ، ح٤٦٣٩ ، سنن أبي داود (٤ / ٢٤٥) ، ح ١٢٤٠ ، سنن الترمذي (١٠ / ١٤٩) ، ح٢٨٣٢ .

إنَّ كتب علم التجويد القديمة تكاد تكون مجهولة لدى معظم المشتغلين بالدراسات التجويدية في الوقت المعاصر . وهي تكاد تكون مجهولة أيضاً لدى بعض المشتغلين بعلوم القرآن ، ولا يزال معظمها مخطوطاً بعيداً عن متناول أيدي الباحثين ، ولعل ذلك هو أحد الأسباب التي حالت بين الباحثين المعاصرين والاستفادة من المادة التجويدية الدقيقة التي تضمنتها تلك الكتب .

لقد تنوعت في وقتنا المعاصر ، وسائل تعليم التلاوة ، ومنها كتب علم التجويد ، ومنها حلقات التعليم على يد المشايخ والمعلمين ، ومنها الأشرطة الصوتية ، ومنها الأشرطة المرئية والمسموعة ، ومنها الحاسوب بتقنياته العالية .

والمتأمِّلُ في كتب تعليم قواعد التلاوة المؤلفة في السنين الأخيرة خاصة ، المتناثرة في السُّوق المحليَّة للتجويد ، والمستمع لأداء المرتلين من جيل الشَّباب على وجه الخصوص ، تستوقفه ملاحظات وظواهر أدائية تتعلق بتلاوة القرآن ، وبأحكام التلاوة المدوّنة في تلك الكُتَيِّبَات ، والأسباب هي أن الأداء المنطوق أصابه تلوث العاميات المعاصرة ، والمكتوب أصابه الخلل بسبب التقعيد لهذه اللهجة العامية . ونلحظ كذلك تبايناً ظاهراً بين أداء بعض الأحكام وطريقة وصفها في كتب التلاوة ، كما أنَّ هناك اختلافاً بين نطق عدد من الأحرف الفصيحة التي نزل بها القرآن وبين طريقة أدائها ووصفها في الكتب المعاصرة .

وكان ذلك قد لفت نظري منذ سنوات ، وكتبتُ عدة أبحاث ، في فترات متتابعة تعالج بعضاً من تلك الظواهر الأدائية في التلاوة ، وصارت عندي قناعة بضرورة اعتناء القائمين على أمر تعليم تلاوة القرآن بتلك القضايا ، حتى تلتقي كلمتهم على رأي موحَّد فيها ، وحتى تتوحَّدَ صور الأداء ، فالمصريُّ يقرأ وحدات القرآن الصوتية بلهجته العامِّيَّة ، والشَّاميُّ يغلب على أدائه الإمالة في بعض الحروف ، وكذلك أهل الخليج غلب عليهم بعض الظواهر البدوية النَّبطيَّة ، وأهل المغرب العربيُّ لهم ظواهر خاصة في الأداء ، ويستطيع المستمع المدقق أن يحكم على القارئ من أيِّ الدِّيار بسبب لهجته العامِّيَّة ، فمثلًا استمع لقارئ من أفريقيا أو

السُّودان ، أو من العراق ستجد تبايناً بين لهجة هؤلاء وهؤلاء ، والكلُّ يدَّعي أنَّهُ بلغ ذروة سنام الإتقان ، ويرمي غيره بالجهل بالأداء وحنكته .

وأنادي إلى صياغة كُتُبِ التجويد الحديثة بالاعتماد الكليِّ على ما سطَّره الأوائل في مصنَّفاتهم ، فهم أقرب لعصر السَّلف ، والأحرى بنا التمسك بما نقلوه ، لأنهم قوَّةٌ علميَّةٌ لا قِبَلَ لنا بها .

ولا شكَّ في أنّ قراءة القرآن سُنّةٌ يأخذها الآخرُ عن الأوَّل ، وتعتمد على المشافهة والتلقِّي ، لكن قد يصيب التلقِّي تلوث اللهجات العاميَّة بسبب طول سلسلة الأسانيد ، أو بسبب تغيُر المشافهة ، كما يقول محمَّد المرعشيُّ - رَحِمَهُ اللَّهُ - (ت ١١٥٠ هـ) : " لمّا طالت سلسلة الأداء تخلل أشياء من التَّحريفات في أداء كثير من شيوخ الأداء ، والشيخ الماهر الجامع بين الرِّواية والدِّرَاية ، المتفطِّن لدقائق الخلل في المخارج والصفات ، أعزّ من الكبريت الأحمر ! فوجب علينا أن لا نعتمد على أداء شيوخنا كل الاعتماد ، بل نتأمَّل فيما أودعه العلماء في كتبهم من بيان مسائل هذا الفنّ ، ونقيس ما سمعنا من الشيوخ على ما أُودع في الكتب ، فما وافقه فهو الحقُّ ، وما خالفه فالحقُّ ما في الكتب " اهـ . قلت : لأنَّ النصَّ لا يتغير مهما طال عليه الأَمَدُ ، أمَّا التلقِّي الصَّوتي من الشُّيوخ قد يعتريه بعض التطوير ، وهذه ظاهرة من ظواهر أي لغة أنها في تطوير دائم ، وهو ما يقلق الباحثين في علم صوتيات التجويد والقراءات .

وكثيرٌ من روّاد المسلمين المخلصين ، وكثير من عوامهم ، لا يحرصون على شئ حرصهم على تعلّم تلاوة القرآن وإتقانها ، وتُسْهِمُ في ذلك جهود الأفراد والجمعيات والمؤسسات الرسمية ، في البيوت ، والمساجد ، والمدارس ، والمعاهد والجمعيات ، وتسترشد تلك الجهود بعشراتٍ من الرسائل والكتب والمؤلفات لبيان قواعد التلاوة وآدابها .

وهذا آخر ما يسر الله لي جمعه في هذه الصفحات ، وقد حاولت قصارى جهدي من توثيق ما سوف أتعرض له من تحقيق مادة هذا المخطوط وتدعيمه

بأقوال العلماء المذكورة في أمهات الكتب ، لاعتقادي أن الكلام في قراءات القرآن وقواعد التجويد لا مجال فيهما للرأي لثبوتهما بالرواية ، وأرجو أن أكون قد وفقت في إجابة بعض الطلاب الذين كانت أسئلتهم سبباً في إخراج هذا المخطوط للنور ، وأعنت طلاب هذا الفن الراغبين في التوسع على العودة إلى المصادر والأمهات ، فيما حواه هذا المخطوط من موضوعات عملاً بقول الله عز وجل ﴿ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ [آل عمران : من الآية١٨٧] .

والله أسأل أن يجعل القرآن حجة لنا ، ولا يجعله حجة علينا ، وأن يرزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على النحو الذي يرضيه عنا . اللهم انفعنا بما علمتنا ، وعلمنا ما ينفعنا ، اللهم ارزقنا فهماً لشريعتك ، وحفظاً لكتابك ، وقياماً به عملاً وعلماً وتلاوة وتدبراً ، وذرية صالحة ، وأسأله سبحانه وتعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يتقبله مني خالصاً لوجهه الكريم ، وأن ينفع به الأمة عامّة ، والقائمين على تعليم القرآن خاصة .

فرغلي سيد عرباوي

المنيا . مصر

الخميس ٦ من محرم سنة ١٤٢٧ هـ

الموافق ٢٥ / ١ / ٢٠٠٧ م

Fargh22@yahoo . com

Fargh22@hotmail . com

الدِّراسة

تمهيد

ويرجع بدء التأليف في قواعد التجويد إلى عصر نشأة العلوم الإسلامية ممتزجة في المراحل الأولى بكتب قواعد اللغة العربية ، ومستقلة بعد ذلك في كتب خاصة ، حملت اسم (علم التجويد) منذ القرن الرابع الهجري ، ولم ينقطع التأليف في علم التجويد منذ ظهور مؤلفاته الأولى حتى وقتنا الحاضر ، وكانت حصيلة ذلك عشرات الكتب والرسائل الموجزة ، التي تتباين في الحجم والمنهج والمادة .

ويتداول المشتغلون بتعليم قواعد التلاوة في عصرنا رسائل موجزة من تأليف بعض العلماء المتأخرين - رحمهم الله - وعدد من المعاصرين ، أشبه ما تكون بفهارس للتجويد ، وقد لفتت نظري فيها جملة من الملاحظات والقضايا المتعلقة بالمناهج والمادة ، موازنةً بكتب علم التجويد القديمة المعوَّل عليها في إثبات قضاياه الكلية والجزئية ، وهذه الملاحظات التي لفتت نظري ، أمورٌ قد يؤثر بعضها في طريقة الأداء ، وقد يفضي بعضها إلى الإخلال بالنطق أو تحريف النطق كلياً .

وللأسف هناك بعض الشيوخ المتصدِّرين للتعليم يتشبَّثُون بهذا الخلل والعوج في التلاوة ، ودليلهم كتاب الشيخ فلان أو علّان المعاصر ، ويضربون بكلام أئمة القراءة السَّابقين عُرض الحائط ؛ بحجة أنهم لم يقرءوا على ابن الجزري أو من تقدم عليه .

وكم من مرةٍ نصحت بعضهم بالعودة لمصنفات التجويد القديمة وتقرير ما فيها ، ولكنهم لم يقبلوا نصائحي لأنَّ القاعدة تقول " المعاصرةُ لا تقتضي المناصرة " .

ولا شكّ في أنَّهُ يجب أن يُحتاطَ لتلاوة القرآن ، وأن نحرص على اعتماد أصحَّ المناهج المروية عن الثقات القدماء ، بما يُتيح للتلاميذ فَهْم تلك القواعد ويعطيهم القدرة على الأداء بالقرآن الكريم عربياً مبيناً بريئاً من شوائب اللحن

الخفي التي بذل علماء السَّلف - رحمهم الله تعالى - كل ما وسعهم كي يُخَلِّصوا قراءة القرآن منها .

وقد حملني واجب النَّصيحة لكتاب الله تعالى[١] أن أشير في حواشي هذا المخطوط إلى القضايا التي لفتت نظري في كتب علم التجويد التي أُلِّفت في القرن الأخير ، وفي زماننا ، حتى تكون موضع اهتمام المتخصصين في هذا الحقل الحيوي من ثقافتنا ، لعل تجتمع كلمتهم على الرِّواية عن مصنَّفات التجويد القديمة ؛ ليأخذوا بها في تعليم قواعد التجويد وفي تأليف كتبهم .

وأنصح كل متصدر للإقراء والتعليم أن يتصل سنده بالنبي ﷺ ، وهذا أجدر له من إقامته على التعليم وهو منقطع السند بنبيِّ هذه الأمة ﷺ ، بأبي هو وأمي ﷺ .

وإني كنتُ متردِّداً في نشر هذه الملاحظات سنين كثيرة ، خوفاً من نسبة الوَهْم إلى العلماء الذين خدموا علوم القرآن بمؤلفاتهم على نطاق واسع ، وتحرُّجاً من إخواننا الأساتذة والشيوخ الذين كتبوا في هذا العلم من المعاصرين ، ولكن ترجحت لديَّ أخيراً تقديم مصلحة القرآن ونشرها ، لأنَّ ما فيها لا يقصد به الأشخاص وإنما الأفكار والقضايا التي عرضوها ، وهي في أكثرها مما عمَّت به البلوى ، ثم إن الأنفاس معدودة علينا ، والآجال مُغَيَّبَةٌ عنّا ، وقد يفوت بكتمانها علمٌ نافعٌ يحتاج إليه المهتمون بتلاوة القرآن الكريم ، وكلٌّ يؤخذُ من قوله ويردُّ إلا نبي هذه الأمَّة .

وأدرك علماء التجويد القدماء أنَّ النصَّ لا يتغير مهما طال عليه الأمد ، أمَّا منطوق الكلام فهو في تطوير دائم ، لا نمتلك الآليات لإيقافه ، وقد رسخت في أذهانهم هذه الفكرة ، فلذا قاموا بتسجيل قواعد التجويد لِيُرْجَعَ إليها عند فساد

---

(١) روى مسلم بسنده عَنْ تَمِيم الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ ، قَالَ : لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ " . ينظر : صحيح مسلم (١ / ١٨٢) ، ح٨٢ ، صحيح البخاري (١ / ٩٧) ، سنن أبي داود (١٣ / ١٠٧) ، ح٤٢٩٣ ، سنن الترمذي (٧ / ١٦٤) ، ح١٨٤٩ .

الألسن ، وغلبه رطانات العامية .

ولو نظرنا إلى واقع السوق المحلية للتجويد ، وحال البضاعة المعروضة فيه ، سواء كانت مسموعة أو مكتوبة ، - وأخص منها جيل الشباب - لوجدناها مصابة بتلوث المكتوب قبل المسموع ، وغلب على المكتوب تقعيدات ورطانات العاميات المعاصرة ، وغلب على المسموع تلوث الأداء وهيمنة العجمى العامية ، وهذه اللكنات العامية يجب أن تبرأ منها قراءة القرآن المسموع ، وقواعده المسطورة في وقتنا المعاصر .

السُّوق التجويدية اليوم تموج بكثير من اضطرابات الأداء ، ولهذا لا نعجب إذا كانت قواعد التجويد في بعض الكتب المعاصرة ؛ تشكو من الاضطراب ، وضعف سندها ، وتصرخ من تفكك أوصالها ، وتفرُّق أهلها في الأداء وأنماطه المختلفة ، أزياء التجويد اليوم على أحدث صيحة تطويرية عامِّية .

بالإضافة إلى ذلك نجد حال من تصدَّرُوا للتعليم من الشيوخ في دور القرآن ، أصابهم عَوَرُ التنازع والفرقة ، بحيث أصبح محرابهم يتنابذون بل يتقاتلون فيما بينهم بأسلحة الكلمة وأسلحة النَّار ، دون مسوّغ شرعي ؛ بل بسبب أحقاد نفسية كل يحب الوضاءة والوجاهة وتسليط الأضواء عليه في مكانه ، ولا يحب من ينازعه الزعامة على منصبه الزائل ، ووجدنا ممن هذا حالهم أن بضاعتهم المعروضة في سوق التجويد على أحدث موضة تجويدية عالمية ، ويرون التمسك بهذه الموضة التجويدية ذروة سنام الإتقان .

وأصبح الأداء الصحيح محصوراً في ركنٍ ضيِّقٍ من الساحة التجويدية . وهناك اتّجاه ينادي به بعض المخلصين الذين يرون ألا مناص لنا إلا بالتمسك بقواعد التجويد القديمة ، كما سطرها أئمة القراءة ، وورثها الحافظ ابن الجزري وسجلها في مصنفه النشر في القراءات العشر ، والعمل على نشرها والأخذ بها دائماً وأبداً . وعلى رأس هؤلاء المخلصين الشيخ العلامة ابن الناظم أبو بكر أحمد بن بن الجزري الذي نقوم بتحقيق مخطوطه الفريد من نوعه .

والحلُّ برأي ، لابدَّ لمشيخة عموم المقارئ المصرية وغيرها من دور المجمَّعات الإسلامية ، من إعادة ترتيب بيت التجويد ، والعمل على تنسيقه من جديد بحيث تصبح أجواء التجويد صافية من التلوث ، مع إحياء تراث الأمة القديم مما وضعوه من ضوابط لقواعد التجويد التي نقلوها ؛ لأن منهج القراء لا يعتمد على القياس في بيان أصوله وأحكامه وقواعده ، إنما يعتمد الرواية والنقل ، ثم العرض والسماع والأداء أساسَيْنِ يقوم عليهما ويلتزم بهما ، فالقراءة سنة[١] يأخذها وينقلها جيل عن جيل ، وعمل الرواية يؤدَّى دون تدخل من الراوي ، ودون نظر أو قياس لغة ، وبهذا يختلف منهج القراء عن منهج النحويين الذين يعتمدون القياس أساساً لهم في بناء أحكامهم وقد صاغ الشاطبي هذه المعاني في بيت فقال :

جزى الله بالخيرات عنا أئمة لنا نقلوا القرآن عذباً وسلسلا

ولو سأل سائل كيف نشأ علم التجويد ؟ وما هو تاريخه ؟ وما هو حال مصنفاته الأولى ؟

وبالجواب عن هذه الأسئلة سوف يُكْشَفُ لنا الغطاء عن كثير من القضايا التي ظهرت بعد عصر الاحتجاج ، والتي أسسها بعض العلماء المتأخرين ، وهناك قواعد دخلت على أبحاث التجويد ، عُرفت في أعمال علماء التجويد المتأخرين فحسب ، وهذه الأفكار والآراء لم تكن تعرف في أعمال علماء التجويد منذ مراحله الأولى . وبالسباحة في تاريخ علم التجويد سوف نتعرَّفُ على كثيرٍ من القضايا التي يحتاج معرفتها الباحثون في علوم القرآن ، ومن أفضل المصنفات التي بين يدي التي بحثت نشأة وتاريخ هذا العلم ، ما كتبه شيخ المحققين في عصرنا الدكتور غانم قدوري الحمد العراقي ، فهو في رأيي

---

(١) روى الطبراني بسنده عَنْ زَيْدِ بن ثَابِتٍ ، قَالَ : " الْقِرَاءَةُ سُنَّةٌ " . ينظر : المعجم الكبير للطبراني (٥ / ٤٦) ، ح٤٧٢٢ ، وشعب الإيمان للبيهقي (٦ / ٢٠٥) ، ح٢٥٦٨ .

منفردٌ بالتصنيف في هذا الموضوع .

ولم يُعْرفْ مصطلح (التجويد) بمعنى العلم الذي يُعْنى بدراسة مخارج الحروف وصفاتها وما ينشأ لها من أحكام عند تركيبها في الكلام المنطوق إلا في حدود القرن الرابع الهجري ، كذلك لم يعرف كتاب أُلِّفَ في هذا العلم قبل ذلك القرن ، ومعنى هذا أن علم التجويد تأخر في الظهور علماً مستقلًا بالنسبة إلى كثير من علوم القرآن وعلوم العربية أكثر من قرنين من الزمان .

وقد جاء في بعض المصادر المتأخرة أن الصحابي عبد الله بن مسعود – رضى الله عنه – قال : " جوِّدُوا القرآن . . . "[1] واستند بعض المُحْدَثِين إلى هذه الرواية في القول بأن نشأة علم التجويد ترجع إلى عصر الصحابة ، وقال : " ولسنا نملك لهذا النوع من الدراسة مادة كافية تسمح بتتبع تطوره ووصف المراحل التي قطعها حتى صار علماً مستقلًا هو (علم التجويد) ، وكل الذي يعرف عن مراحله الأولى أن أول من استخدم هذه الكلمة في معنى قريب من معناها هو ابن مسعود الصحابي الذي كان ينصح المسلمين بقوله : " جوّدوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات " . . . ويبدو أن نشأة علم التجويد جاءت استجابة لدعوة ابن مسعود ، ومحاولة لتقنين قواعد القراءة اقتفاء لأثره . . . " .

ولكن هذه الرواية عن ابن مسعود في المصادر القديمة جاءت على نحو آخر لا تصلح معه للاستشهاد في ما نحن بصدده ، فقد جاء فيها (جَرِّدُوا) بالراء بعد الجيم مكان (جوّدوا) بالواو بعد الجيم ، ورجَّح بعض الباحثين أن الرواية تصحفت في المصادر المتأخرة ، لأنها تنقل النص بإسناد ينتهي إلى أسانيد المصادر القديمة ، ثم

---

(١) لم ترد الرواية بلفظ " جوِّدوا القرآن " بل بلفظ " جرِّدوا القرآن " ، ينظر : مصنف ابن أبي شيبة (٧ / ١٩٩) ، مصنف عبد الرازق (٤ / ٣٢٣) ، المستدرك على الصحيحين (١ / ٣٣٩) ، في المعجم الكبير للطبراني أخرج بسنده عَنْ أَبِي الزَّعْرَاءِ ، قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : " جَرِّدُوا الْقُرْآنَ لا تَلْبِسُوا بِهِ مَا لَيْسَ مِنْهُ " . ينظر : المعجم الكبير للطبراني (٨ / ٣٠٠) ، ح٩٦٣٧ ، شعب الإيمان للبيهقي (٦ / ١٩٧) ، ح٢٥٦٠ .

يختلف النص بعد ذلك في حرف واحد[١] ، وهذه الرواية تتعلق في الأصل بموضوع تجريد القرآن من الزيادات المتمثلة بالخموس والعشور وأسماء السور ونحو ذلك .

ومن المعلوم أنه لم يرد في القرآن الكريم من مادة (ج و د) شئ في وصف القراءة ، كذلك لم يرد في (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي) الذي يعتمد على تسعة من أشهر كتب الحديث ، شيئاً من ذلك . وهذا أمر يمكن يستدل به على أن كلمة (التجويد) لم تكن مستعملة في عصر النبوة بالمدلول الذي صارت تدل عليه فيما بعد .

وكانت هناك كلمات أخرى تستخدم في عصر النبي ﷺ وأصحابه في معنى كلمة التجويد . مثل : الترتيل ، والتحسين ، والتزيين ، والتحبير ، وهي تستخدم في وصف القراءة حين تكون مستوفية لصفات النطق العربي الفصيح ، جامعة إلى ذلك حسن الصوت والعناية بالأداء ولم يرد من هذه الكلمات الأربع في القرآن الكريم سوى كلمة الترتيل[٢] .

ولا يعني أن مفردات مادة (ج و د) لم تكن مستخدمة في اللغة العربية ، فنجد عدداً من الكلمات المشتقة من تلك المادة مثل : الجَيِّد نقيض الرديء ، وجاد الشيء جُودة وجَوْدة ، أي صار جيِّداً . وأجاد أتي بالجيد من القول والفعل . ورجل جوَّادٌ سخيٌّ ، وجاد الفرس فهو جواد . . . الخ[٣] والتجويد مصدر

---

(١) قال الدكتور غانم : " ذكر ابن الجزري (التمهيد ص ٣) أن علياً رضى الله عنه سئل عن معنى الآية (ورتل القرآن ترتيلًا) فقال : " الترتيل تجويد الحروف ومعرفة الوقوف " . لكني وجدت السمرقندي يذكر في روح المريد (١٣٧ و) أن علياً روى عن النبي ﷺ في معنى الآية قوله : " الترتيل حفظ الوقوف وبيان الحروف " ، وهذه الرواية أقرب إلى واقع الاستخدام الاصطلاحي لكلمة (التجويد) . " ينظر : الدراسات الصوتية (ص ١٤) .

(٢) قال تعالى : (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) (الفرقان : من الآية٣٢) ، (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا) (المزمل : من الآية٤) .

(٣) ابن منظور : لسان العرب (٢ / ٢٥٤) .

جَودت الشيء . قال الدَّانيُّ (ت ٤٤٤ هـ) : " ومعناه : انتهاء الغاية في إتقانه ، وبلوغ النهاية في تحسينه "[١] .

وأقدم نصٍّ وردت فيه كلمة (التجويد) مستعملة بمعنى يقرب من معناها الاصطلاحي ، في المصادر القديمة ، هو قول ابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) مؤلف كتاب (السبعة في القراءات) ، فقد قال الداني (ت ٤٤٤ هـ) : " حدثني الحسين بن شاكر السمسار ، قال : حدثنا أحمد بن نصر ، قال : سمعت ابن مجاهد يقول : اللحْنُ في القرآن لَحْنان : جَلِيٌّ وخفيٌّ . فالجليُّ لحنُ الأعرابِ[٢] ، والخفيُّ ترْكُ إعطاء الحرفِ حقهُ من تجويدِ لفظه "[٣] ، ونقل أحمد بن أبي عمر (ت بعد ٥٠٠ هـ) الرواية على هذا النحو : " . . . والخفي ترك إعطاء الحروف حقها من تجويد لفظها ، بلا زيادة فيها ولا نقصان " .

إن الوقت الذي ظهرت فيه كلمة التجويد بمعناها الاصطلاحي هو الوقت الذي ظهر فيه أول مصنف مستقل في علم التجويد ، فقد قال ابن الجزري ، وهو يترجم لأبي مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى الخاقاني البغدادي (ت ٣٢٥ هـ) " هو أول من صنَّفَ في التجويد فيما أعلم ، وقصيدته الرائية مشهورة وشرحها الحافظ أبو عمرو . . . "[٤] .

---

(١) أبو عمرو الداني : التحديد في الإتقان والتجويد (ص٦٨) .

(٢) هكذا في الأصل الذي نقلت منه .

(٣) التحديد في الإتقان والتجويد (ص١١٦) .

(٤) قال عن ترجمته في غاية النهاية : " موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان أبو مزاحم الخاقاني البغدادي إمام مقرئ مجود محدث أصيل ثقة سني ، أخذ القراءة عرضاً عن الحسن بن عبد الوهاب ومحمد بن الفرج كلاهما عن الدوري عن الكسائي وإدريس بن عبد الكريم ومحمد بن يحيى الكسائي وعبد الوهاب بن محمد بن عيسى الخزاز ، وسمع الحروف من أحمد بن يوسف التغلبي عن ابن ذكوان ، ومن محمد بن أحمد بن واصل عن أبيه ، قرأ عليه أحمد بن نصر ، ومحمد بن أحمد بن إبراهيم ، وأحمد بن الحسن بن شاذان ، ومحمد بن أحمد الشنبوذي ، =

والمصنَّف الذي أشار إليه الحافظ ابن الجزري هنا على أنه أول مصنف في التجويد هو قصيدة أبي مزاحم الخاقاني الرائية المشهورة بالقصيدة الخاقانية ، التي يقول في مطلعها :

أقُولُ مَقَالاً مُعْجَبا لُأولِي الحِجْرِ ولا فَخْرَ إنَّ الفَخْرَ يَدْعُو إلى الكِبْرِ

ويقول :

فَمَا كُلُّ مَنْ يَتْلُو الكِتَابَ يُقِيمُهُ وما كُلُّ مَنْ في الناسِ يُقْرِئُهُمْ مُقْرِي

ويقول :

زِنِ الحرفَ لا تُخْرِجْهُ عنْ حدِّ وَزْنِهِ فَوَزْنُ حُروفِ الذِّكْرِ مِنْ أفْضَلِ البِرِّ

وعدد أبياتها واحد وخمسون بيتاً ، ذكر فيها أبو مزاحم بعض الموضوعات التي صارت فيما بعد جزءاً من علم التجويد ، وكان لهذه القصيدة أثرٌ واضحٌ في جهود اللاحقين في علم التجويد ، فهم بين مقتبس منها مستشهد بأبياتها ، وبين معارض لها ، أو شارح موضح لمعانيها .

ومع أن القصيدة الخاقانية هي أول مصنف مستقل ظهر في علم التجويد إلا أن أبا مزاحم لم يستخدم فيها كلمة (التجويد) ولا أيّاً من الألفاظ الأخرى التي تشاركها

= وزيد بن علي ، قال الداني : " كان إماماً في قراءة الكسائي ضابطاً لها مضطلعاً بها قرأ عليه غير واحد من الحذاق منهم أحمد بن نصر الشذائي ، ومحمد بن أحمد الشنبوذي وغيرهما ، قال : وكان أبوه وجدّه وزيرين لبني العباس ، وكذلك أخوه أبو علي محمد ابن عبيد الله ، وترك أبو مزاحم الدنيا وأعمل نفسه في رواية الحديث ، وأقرأ الناس وتمسك بالسنة ، قال : وكان بصيراً بالعربية شاعراً مجوداً ، وقال الخطيب : كان ثقة من أهل السنة ، قلت : هو أول من صنف في التجويد فيما أعلم وقصيدته الرائية مشهورة وشرحها الحافظ أبو عمرو ، وقد أخبرني بها وبقصيدته الأخرى في السنة أبو حفص عمر بن الحسن المراغي بقراءتي عليه من علي بن أحمد المقدسي أخبرنا ابن طبرزد بسنده ، وقد حدّث عنه أبو بكر الآجرّي ، وأبو حفص بن شاهين وجماعة ، ومات في الحجة سنة خمس وعشرين وثلثمائة . " ينظر : ابن الجزري : غاية النهاية في طبقات القراء (٢ / ٣٢٠ - ٣٢١) .

في المادة اللغوية ، واستخدم كلمة (الحُسْن) وما اشْتُقَّ من مادتها . فقد قال في صدر البيت الخامس :

أيـا قـارِئَ الـقـرآنِ أحْـسِـنْ أداءَهُ . . . . . .

وقال في صدر البيت السابع عشر :

فقد قلتُ في حُسْنِ الأداءِ قَصيدةً

وعدم استخدام أبي مزاحم لكلمة (التجويد) في قصيدته يدل على أن هذا المصطلح لم يكن مشهوراً حينذاك ، على الرغم من ظهوره في ذلك الوقت ، فقد استخدمه معاصره ابن مجاهد ، كما مرَّ في النص الذي نقلناه آنفاً .

وأول من استخدم مصطلح (التجويد) بعد ابن مجاهد هو أبو الحسن علي بن جعفر السَّعيدي (ت ٤١٠ هـ) تقريباً . فقد قال في أول كتابه (التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي) : " . . . سألتني . . . أن أُصنِّفَ لك نُبَذاً من تجويد اللفظ بالقرآن . . . "[١] . وقال في موضع آخر : " ويؤمر القارئ بتجويد الضَّاد من ﴿ ٱلضَّآلِّينَ ﴾ (الفاتحة : من الآية٧) وغيرها . . . "[٢] . وشاع استخدام مصطلح (التجويد) بعد عصر السَّعيدي على نطاقٍ واسعٍ .

وإذا وافقنا ابن الجزري في قوله إن القصيدة الخاقانية هي أول مصنف كتب في علم التجويد ؛ فإن هناك قريباً من قرن من السنين بين تاريخ ظهورها وتاريخ ظهور كتاب السَّعيديّ (التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي)[٣] الذي يتميز بأنه أقدم كتاب معروف لدينا اليوم في علم التجويد بعد القصيدة الخاقانية ، وهو يمثل بدء التأليف المستقل في علم التجويد .

---

(١) ينظر : أبو الحسن السعيدي : التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي (ص٢٧) .

(٢) المصدر السابق (ص٣٣) .

(٣) هذا الكتاب طبع ، وتم تحقيقه على يد شيخ المحققين الدكتور غانم قدوري الحمد ، من مطبوعات دار عمار ، بالأردن ، وأمتلك نسخة منه .

ولم يأتِ في كتاب (الفهرست) لابن النديم (ت ٣٨٥ هـ) على الأرجح ، أيَّ كتاب يحمل اسم التجويد ، أو يمكن أن يكون موضوعه في هذا العلم ، على الرغم من أنه ذكر في هذا الفن الثالث من المقالة الأولى من كتابه مئات الكتب المؤلفة في علوم القرآن . وهذا الأمر يدل على أن علم التجويد لم يزل في القرن الرابع الهجري يخطو خطواته الأولى ، ولم تشتهر كتبه حين ألف ابن النديم كتابه سنة (٣٧٧ هـ) ، ولا يزال تاريخ علم التجويد في القرن الرابع بحاجة إلى نصوص جديدة تلقى مزيداً من البيان على نشأته .

وحين نتقدم خطوة إلى الأمام وندخل في القرن الخامس الهجري نجد أن المؤلفات في علم التجويد يتتابع ظهورها حتى إننا لنجد أن معظم مؤلفات علم التجويد قد ظهرت في هذا القرن ، فبعد كتاب (التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي) للسَّعيديِّ الذي ظهر في نهاية القرن الرابع ، أو السنين الأولى من القرن الخامس ، يظهر في الأندلس كتابان كبيران في علم التجويد ، هما (الرعاية)[١] لمكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) و (التحديد في الإتقان والتجويد)[٢] لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ) . وظهر بعدهما في نفس القرن كتاب (الموضح في التجويد)[٣] لعبد الوهاب القرطبي (ت ٤٦١ هـ) وهو من المعاصرين لمكي والداني .

ونجد في مقدمة كتاب (الرعاية) لمكي ما يشير إلى أن القرن الخامس هو التاريخ الحقيقي لظهور المؤلفات في علم التجويد ، قال مكي : " وما علمت أن أحداً من المتقدمين سبقني إلى تأليف مثل هذا الكتاب ، ولا جمع مثل ما جمعت فيه من صفات الحروف وألقابها ، ولا ما أتبعت فيه كل حرف منها من ألفاظ كتاب الله

---

(١) مطبوع ، بتحقيق الدكتور : أحمد حسن فرحات ، بدار عمار بالأردن .

(٢) مطبوع ، بتحقيق الدكتور : غانم قدوري الحمد ، بدار عمار بالأردن .

(٣) مطبوع ، بتحقيق الدكتور : غانم قدوري الحمد ، بدار عمار بالأردن .